من قيم الإسلام

إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق حديث شريف

بقلم الدكتور عز الدين على السيد – كلية اللغة العربية والآداب

فتش عن النفس تعرف عندها السببا   إن طبت منقلباً أو سؤت منقلبا
فمن حتى خطه عن دربه اضطربت   به المسالك يخشى بينها العطبا
والنفس أعدى عدو المرء إن صدفت   عن استقامتها تستوجب الأدبا
فلا تدعها وما شاءت.. فيملكها   عدو آدم.. إن يظفر بها لعبا
يساور النفس في الأضلاع مختلساً   سلطان عقلك.. للأخلاق منتهبا
وقد يفلسف للعقل الذنوب بما   يزلزل العقل أو يعدوه مكتئبا
فلا تدعه له يغتاله شرهاً   أنزل على رأسه من دينك الشهبا
واذكر– إذا شمت وهن العقل– خالفه   تمرق حروفك في أضلاعه لهباً
أعل الغرائز بالإيمان.. معتدلا   لا تغل في كبتها شكراً لمن وهبا
ولا تطأطىء لها عبداً تجشمه   خوض المهالك.. مهما تدعه ذهبا
فالقصد دين .. وفي التفريط مضيعة   وشقوة المرء في الإفراط إن غلبا
ميزان دينك لا قانون يعدله   نور من الله في أفق الهدى انسكبا
حكمه في الأمر تسلم من مخالفة   تقيم من حولك الضوضاء واللجبا
أضيء به القلب تأمن غيلة عظمت   يكنها مارد في غاسق وقبا
فظلمة البيت تغرى السارقين على   سلب المتاع.. وما أحرزته صعبا
وشد بتقواك سدا حول نفسك لا   يعلى.. وإن نلت في إعلائه تعبا
كسد يأجوج يغشاهم فما قدروا   أن يظهروه وما اسطاعوا له طلبا
تنس المتاعب بالأمن الطويل غداً   فمن يخف تعبا لا يملك الذهبا
والجأ إلى الله في أدني الأمور كما   تدعوه في الأمر مما عز أو صلبا
فكم صغير غدت ناراً مغبته   ففرقت قلبنا في درئها شعبا
حسن التوكل لا يعنى التواكل في   أخذ الأمور وأن لا تحكم السببا

لكل نفس من الخيرات ما كسبت وليخش عبد الهوى والشر ما اكتسبا
والعدل وضعك شيئاً حق موضعه فكل شيء عدا أوضاعه اضطربا
إلا إذا اجتزت للإحسان منزلة أعلى من العدل في كسب العلا نسبا
فأخذك الحق عدل لا تعاب به إن جاوز البغى. والإسراف والغضبا
لكن عفوك إحسان تقود به شم الأنوف فتنسى كبرها عجبا
وليس معناه عجزاً مؤاخذة ولا تسمى به من عاقل ذنبا
فالشر مجلبة للشر يفثؤه عن نفسك الحلم.. فاجنب نفسك اللغبا
الناس مهما نسوا الأعراق من رجل من يذكر الأصل من أرحامه اقتربا
ما فرق الإخوة الأنجاب مثل هوى يعمى البصير.. به نور الهدى احتجبا
وليس من مطيع مهما يشد بنا أجل من حفظنا أنسابنا أربا!
فكيف نجني على بند السلام فلا نحميه بالحب من أرواحنا حدبا؟
صلاتنا قد غدت زيفاً ومنقصه! أو صالنا بالهوى قد مزقت أربا!
لو كل فرد تولي نفسه أدياً لما بكى الحظ مظلوم ولا ندبا
فلنسلك الدرب عل الله يرزقنا أمناً يعيد لشمل الدين ما انشعبا
لا يستوى من رمى دون الخطى حجراً ومن أماط الأذى لله محتسبا!
فمن وقى ساغباً في يوم مسغبة وقاه ربك يوم الحسرة السغبا!
ومن سقى صادياً بالبر منعطفاً أضناه لذع الصدى إذ ماؤه نصبا
رواه في الهول والأكباد ظامئة رب على نفسه الإحسان قد كتبا!
فالبئر والكلب مصدوق حديثهما ومن يكذبه من هذا الورى كذبا!
وروضة الدين مازالت لنا وطناً فمن جفاها– ولو في أهله– اغتربا
ما ضاع خير ووجه الله باعثه وصانع السوء يجني غبه نصبا
فمن حمى الفزع الملهوف أنقذه حامي العباد إذ ما قلبه وجبا
ومن رأي مسلماً يغتابه سفهاً جان على عرضه المظلوم قد وثبا
فذب عن عرضه ستراً عليه رأي ستائر الله تعالى حوله الطنبا

وأنعم الله لا تدرى دقائقها   من شاء إحصائها يستند الكتبا
فكن على حفظها بالشكر حارسها   تعش على الحمد للنعماء مصطحباً
زوالها جحدها.. لا رده سفر   باغ.. على رأسه نحو الردى ركبا
والكبرياء رداء الله فاخش به   شرا على الدين واحذر مقته دأبا
فمن تعالى بغى في حق بارئه   كمن بغى ثوبك المختص مجتذيا
إياك والزهو إن تعط المناصب أو   تمنح من القوم في دار الردى لقبا
فإنها فتنة في حملها نصب   وإن حلا مرها في الحلق أو عذبا!
أشكو إلى الله نفسى في مواعظها   وهي التي ذبت من عصيانها رهبا!
يا رب رد على الإسلام تويتها   حتى أطيب بها في الحشر منقلبا!

عز الدين على السيد
كلية اللغة العربية والآداب
الجامعة الإسلامية بالدينة المنورة